International Journal of Arabic Language and Literature Studies
المجلة الدولية لدراسات اللغة العربية وادابها
ISSN: 2707-7659
DOI: 10.32996/ijalls
Journal Homepage: www.al-kindipublisher.com/index.php/ijalls

نظام الجملة وترجمتها من اللغة العربية إلى الفارسية-الدرية

عبد الشكور عابد، الأستاذ المحاضر في قسم اللغة الفارسية بكلية اللغات والآداب، جامعة تخار

تاريخ استلام البحث: 2024/11/25	تاريخ نشر البحث: 2024/12/24	المجلد: 6	العدد: 1

الملخص:
تجري نظام الجملة في اللغة العربية على هذه القاعدة: فالفعل أولًا، الفاعل ثانيًا، فالمفعول ثالثًا، فشبه الجملة رابعًا، في الجملة الفعلية والمبتدأ أولًا والخبر ثانيًا في الجملة الاسمية ولكن هذه القاعدة لا تجرى دائمًا على نظام ثابت أو شبه ثابت كاللغات الثابتة التي نعرفها: الفاعل أولا، فالفعل ثانيا، فالمفعول ثالثا، فشبه الجملة رابعًا، فاللغة العربية تتميز عن اللغة الفارسية وغيرها من اللغات في بناء الجملة، ومن أبرز ما تتميز به اللغة العربية في تعبيرها عن اللغة الفارسية: أولا: أن الجملة في اللغة الفارسية تختلف في تركيبها عن الجملة في اللغة العربية، فعلى الرغم من أن الجملة في العربية تنقسم إلى قسمين: اسمية وفعلية، فإن الجملة الاسمية في اللغة الفارسية تزيد في تكوينها عن العربية جزءًا ثالثًا وهو الرابطة التي تربط الجزءين الرئيسيين وهما المبتدأ والخبر، وتختلف هذه الرابطة باختلاف المبتدأ أو المسند إليه، وكذلك الحال بالنسبة للجملة الفعلية فهي تختلف مع العربية في ترتيب أجزائها، ففي العربية تبدأ الجملة الفعلية بالفعل في حين تنتهي الجملة الفعلية في الفارسية بالفعل، وهذا الاختلاف يجعل الترجمة تغييرا في المعنى، فلأهمية هذه المسئلة قمت بإعداد هذه المقالة، هذه الدراسة تبين نظام الجملة بين اللغة العربية والفارسية-الدرية على منهج الإستقرائي- التحليلي وفق نظام الجمع على المعلومات المكتبية. ونتيجة الدراسة تشير أنّ لكل كلمة مع صاحبتهما مقاماً لاستخدامها في وضعها بالجملة بين العربية والفارسية إن كانت الكلمة مقدمة أو مؤخرة، فلكل كلمة مقامها الذي يتطلب استعمالها بين اللغتين.

الكلمات المفتاحية :نظام الجملة، اللغة العربية، اللغة الفارسية، الترجمة، بناء الجملة.

Sentence Structure and its translation from Arabic to Persian-Dari

Abdul Shakur Abed, Senior teaching assistant in Persian department of language and literature faculty at Takhar University.
Email: Abdulshakoorabed885@gmail.com

RECIEVED: 25 November 2024 **PUBLISHED:** 24 December 2024 **DOI:** 10.32996/ijalls.2024.6.1.12

Abstract
The sentence structure in the Arabic language follows this rule: the verb comes first, the subject comes second, the object comes third, and the predicate comes fourth. In a nominal sentence, the subject (which is a noun) comes first, and the predicate comes second. However, this rule doesn't always apply in a fixed or semi-fixed system like other languages. Arabic language differs from Persian and other languages in sentence structure. Arabic language is distinguished from Persian language in its sentence structure. Firstly, the sentence structure in Persian language differs from Arabic language, although the sentence in Arabic language is divided into two parts: nominal and verbal. The nominal sentence in Persian language consists of an additional part, which is the link that connects the main parts, the subject and the predicate. This link varies depending on the subject or the complement. The same applies to the verbal sentence, which differs in its parts order compared to Arabic. In Arabic, the verbal sentence starts with the verb, while in Persian, it ends with the verb. This difference leads to a change in meaning in translation. Therefore, this paper is prepared to highlight the importance of these issues. This study demonstrates the sentence structure between Arabic and Persian languages using an inductive-analytical approach based on the collection of bibliographical information through literature review. The study's results indicate that each word has its position in using it in a sentence between Arabic and Persian, whether it is in a preposition or a postposition. Each word has its position that requires its use between the two languages.

Keywords: sentence structure, Arabic language, Persian language, translation, sentence construction

المقدمة

اللغة العربية هي اللغة الأولى في العالم الإسلامي فهي من اللغات الأساسية في الأدب الإسلامي و لكن اللغة الفارسية تنتمي إلى عائلة اللغات الهندو أوروبية. وقد استعارت كلمات كثيرة من اللغة العربية، وتكتب بالأبجدية العربية. ومما لا شك فيه أن هذه الميزة اللغوية موجودة في اللغة الفارسية، ولم تكن اللغة الفارسية أقل احتياجا من اللغة العربية إلى الأوردية فقبلت الكلمات العربية ولكن على قواعد صرفية ونحوية نختلف عن قواعد اللغة الأولى وإذا كنا نجد بين اللغة الفارسية كلمات عربية فليس ذلك دليلًا على أن اللغة الفارسية خالية من لفظة تدل على أن اللغة العربية الأدبية مستقلة تمام الاستقلال عن شقيقتها اللغة الفارسية الجديدة عن اللغة العربية الفصيحة، حيث تأثرت توفر الكلمات في اللغة الفارسية بالغة العربية كثيرًا ففي اللغة الفارسية المستعملة حالياً دخل كثير من الألفاظ العربية وهي تكتب بهجاء العربية بعد أن تلاشت *اللغة البهلوية والخط البهلوي* و إدخال بعض المصطلحات المصنعة لا يوافق اللغة الفارسية الشائعة كمثل بوهنتون وروغتون وكتابتون.

أما بالنسبة للغتين العربية والفارسية فإن بينهما صلات قديمة جدا ترجع إلى وقت دخول الإسلام إلى خراسان بعد أن أقبل كثير من الفرس على اعتناق الإسلام أحرارًا مختارين، في غير ما إجبار أو اضطرار، لأن المظالم التي اصطلوا بنارها قبل الإسلام حببت إليهم أن يقبلوا على اعتناقه، فكفل لهم العرب حريتهم الدينية، وعاملوا أتباع الزرادشتية معاملة أهل الكتاب، فقبلوا منهم أن يبقوا على دينهم ويدفعوا الجزية.

وقد تسابق كثير من أهل فارس إلى تعلم اللغة العربية، لغة الدين الذي آمن به كثير منهم، ولغة الفاتحين الذين يتصلون بهم، وسرعان ما أجادها بعضهم، وكانوا قدوة لمن بعدهم، حتى صار كثير من مشهوري الشعراء والكتاب والعلماء باللغة والدين من أبناء فارس. وكان من أثر القرآن على اللغة الفارسية أن فقدت اللغة الفارسية شخصيتها القديمة، وظهرت الفارسية الجديدة، وقد تشكل نصف معجمها كما شكلت أساليبها وأوزانها من العربية، حتى صارت لسانًا آخر غير اللغة السابقة على الإسلام وهي اللغة الفارسية. وكذلك الأمر في اللغة التركية واللغة الكردية وسائر لغات آسيا وأفريقيا، فقد فقدت كل لغة من هذه اللغات أكثر خصائصها الجاهلية ودخلت في عربية القرآن، بحيث إنه لو أن أحدا أراد - مثلا - أن يكتب شيئا بالفارسية بحيث تكون كتابة خلوا من الألفاظ العربية لتعسر عليه الأمر.

أهمية البحث: كما تظهر أهمية الدراسة في تركيزها على التعرف نظام الجملة بين العربية والفارسية، ولست هنا بصدد الحديث عن الصلات القوية بين اللغتين العربية والفارسية، بل المقصود هو أن نبين أن هاتين اللغتين برغم تداخلهما القوي، فإن اللغة العربية تتميز عن الفارسية وغيرها من اللغات في بنائها التعبيري، ومن أبرز ما تتميز به اللغة العربية في تعبيرها عن اللغة الفارسية، هي نظام الجملة.

أهداف البحث:

الهدف من هذا البحث هو محاولة التعرف على نظام الجملة بين اللغة العربية والفارسية-الدرية. ودورها في تكوين وصياغة الجملة والفرق بين ترجمتها في اللغتين العربية والفارسية. و يسبق الكلام بوضوح أن المفردات اللغوية بين اللغتين المجاورتين تتأثر بعضها ببعض عند الحوار بها في الكلمات والجمل والعبارات على حد سواء فتتغير بناء على ذلك مخارج بعض الأصوات أو صفاتها لكي تتفق في المخرج أو في الصفة أو في كليهما مع الأصوات الأخرى المحيطة بها داخل البيئة اللغوية فيحدث عند ذلك نوع من التوافق والانسجام والتقريب بين الأصوات.

الدراسات السابقة للبحث: عني المؤلفون بدراسات كثيرة منها (دكتور عبد اللطيف محمد حماسة) "في بناء الجملة العربية"، الطبعة الأولى سنة 1402هـ- 1982م، نشرة دار القلم بالكويت، وخصائص بناء الجملة القرآنية و دلالتها البلاغية في تفسير التحرير و التنوير، لإبراهيم الجعيد، جامعة أم القرى، رسالة دكتوراه. ومؤلف أخر في بناء الجملة الفعلية بين النفي والإثبات في سورة آل عمران (دراسة نحوية دلالية) و بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين، عوده خليل أبو عوده، رسالة جامعية (دكتوراه) - الجامعة الاردنية، 1988م.و دراسة (بناء الجملة الخبرية في شعر إبي تمام) للدكتور المتولي محمود المتولي، رسالة دكتوراه، نوقشت في جامعة المنصورة-مصر 2002م.

منهج البحث:

فقد سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي-التحليلي وفق نظام الجمع على المعلومات المكتبية.

نظام الجملة العربية

أن اللغة العربية لا تجرى فى بناء الجملة دائما على نظام ثابت أو شبه ثابت كاللغات الأوربية التى نعرفها: الفاعل أولا، فالفعل ثانيا، فالمفعول ثالثا، فشبه الجملة رابعا، بل هى لغة مرنة منذ أقدم نصوصها التى وصلتنا من الشعر والأمثال والخطب. فتارة يأتى الفاعل فى بداية الكلام (وهو ما نسميه الآن: مبتدأ)، وتارة يأتى عقب الفعل كما هو الحال فى الجمل الاعتيادية التى لا يميزها شىء ولا ترنو إلى إحداث تأثيرات خاصة لا تستطيعها إلا جمل ذات نظام مختلف قليلا أو كثيرا عن المعتاد الرتيب، فيها تقديم أو تأخير أو حذف أو اعتراض ... إلخ. وتارة يأتى الفاعل بعد المفعول به، بل بعده وبعد شبه الجملة والحال والتمييز وأى عنصر آخر يأتى سابقا عليه فى التراكيب المعتادة.

فلو طبقنا هذه القاعدة في ترجمة القرآن الكريم فكيف كان على العرب فى عصر المبعث قبل أن يظهر الإعراب أن يفهموا تلك الجمل والعبارات القرآنية التى لا تجرى على النظام الوتيرى الذى يحسنه كل أحد ولا يتميز عادة بشىء؟

وما أكثر تلك الجمل والعبارات على عكس ما يزعم النحويين، إذ حصرها فى أمثلة معدودة كما هو الحال فى الآيات التالية: (فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى)، (فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ)، "أنى يحيى هذه الله بعد موتها"، "حضر يعقوب الموت"، "جاء أحدكم الموت"، "مس الإنسان ضر" (من أسرار اللغة، 226- 227)، مما يسهل على المتلقى فهم معناه دون إعراب. ومع هذا فحتى لو صدقنا دعواه وقلنا إنه لا يوجد فى القرآن سوى هذه الأمثلة وأشباهها، فهل يسهل فهم معناها كما قال؟ إنه ليمكن أن يفهم بعض الناس من المثال الأول أن هناك من أوجس فى نفسه الخيفة التى أوجسها موسى على اعتبار أن "خيفة" مضاف، و"موسى" مضاف إليه فى حالة وجود إعراب. كما أن بعضهم يمكن أن يتصور أن "آل لوط" هم الذين جاؤوا المرسلين لا العكس. لكن وجود الإعراب سوف يحل المشكلة من جذورها ولن يترك بابا للبس والخلط.

على أن الأمثلة التى قدمناها ليست كل الأمثلة التى يمكن الاستشهاد بها فى هذا السياق، بل هناك أمثلة أخرى جد كثيرة. خذ مثلا قوله عز وجل: "ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم" (البقرة: 105)، فكيف نفهم "المشركين" لو كانت بدون إعراب؟ أنقول إنها داخلة فى "الذين كفروا"، أى معطوفة على "أهل الكتاب"؟ أم هل نقول إنها خارجة عن "الذين كفروا"، ومعطوفة عليها لا على أهل الكتاب؟ وخذ عندك كذلك: "وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل" (البقرة: 127)، واسأل نفسك: ما موقع إسماعيل هنا؟ آشترك مع أبيه فى رفع البيت، أم مع البيت فى رفع أبيه له هو أيضا، إذ رفع البيت رفعا ماديا، ورفعه هو رفعا معنويا؟ وخذ عندك ثالثا الآية التالية: "ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب" (البقرة: 132)، وقل لى: هل وصى إبراهيم بنيه ووصى معهم يعقوب أيضا، فعندنا موص واحد؟ أم هل وصى إبراهيم بنيه، ووصى يعقوب بنيه هو أيضا، فعندنا إذن موصيان؟ وخذ عندك رابعا قوله تعالى: "ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته" (آل عمران: 192)، فما المقصود به؟ هل المقصود أنك أنت يا رب الذى تدخل الناس النار، فقد أخزيت فلانا؟ أم هل المقصود أن من تدخله النار يا رب فقد أخزيته؟ لا يفصل فى الأمر هنا إلا ضبط آخر

الفعل المضارع: ضما أو سكونا على الترتيب. وخذ عندك قوله جل شأنه: "وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين (141) ومن الأنعام حمولة وفرشا"، فكيف نفهم قوله: "ومن الأنعام حمولة وفرشا" فى حالة غياب الإعراب؟ سوف يتبادر إلى الذهن أن المقصود هو أن الأنعام تستخدم حمولة وفرشا لا أن الله خلق لنا منها حمولة وفرشا. وخذ عندك سادسا هاتين الجملتين من الآية الأولى من سورة "الأعراف" وتخيلهما بدون إعراب: "كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج"، ثم قل: هل المعنى هو أنه "لن يكون فى صدرك حرج"، على أساس أنه نفى؟ أم هل المراد: "لا ينبغى أن يكون فى صدرك حرج"، بوصفه نهيا؟ وخذ عندك أيضا هذه الآية: "الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم"، فلولا أن "الإنجيل" مكسورة الآخر لظننا أن المعنى المراد هو أن الإنجيل بداية جملة جديدة، وأنه هو الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحل الطيبات ويحرم الخبائث ويضع الإصر... إلى آخره.

أما سرد كل الأمثلة لا تهين في شأن الروايات التى تتحدث عن واضعى النحو والأسباب التى حملتهم على التفكير فى ذلك، ومنها الرواية التى تقول: إن بنت أبى الأسود الدؤلى قالت له يوما: "ما أحسن السماء"، فكان جوابه: "أحسنها نجومها"، فأفهمته أنها لا تسأل عن أجمل شىء فى السماء، بل تتعجب من جمالها، وكذلك إنكاره أن يكون أبو الأسود قد سمع قارئا يقول: "أن الله برىء من المشركين ورسوله"، فارتاع وفكر فى وضع النحو، أما تهوينه من شأن هاتين الروايتين وأمثالهما ووصفه لها بأنها مجرد قصص مسلية طريفة (من أسرار اللغة: 228) فلا أستطيع أن أرافئه عليه، بل أرى أنه حتى لو ثبت أنها روايات مصنوعة فمن الممكن جدا أن تقع، بل هى تقع كثيرا، إن لم يكن بنصها فعلى شاكلتها. وعلى هذا فليس ثم معنى للتهوين من شأن مثل تلك الروايات أبدا.

تغيير نظام الجملة العربية

عندنا في اللغة العربية صورتان للجملة العربية: صورة المبتدأ والخبر والفعل ومرفوعه وما بعده. فيما يتعلق بالفعل ومرفوعه يأتي الفعل ثم الفاعل أو الفعل ثم نائب الفاعل ثم يأتي المفعول أو المفعولات يعني هكذا يأتي النظام. لما يكون مبتدأ وخبر أيضا المبتدأ والخبر ثم لما تدخل إحدى النواسخ (كان وأخواتها) أيضا النظام أن (كان) تأخذ إسمها أولا لأن أصله مبتدأ ثم تأخذ الخبر ثم يأتي بعد ذلك ما يأتي من المعطوفات أو المفعولات هكذا هو النظام. نقول: كان زيد ناجحا وعمرو، تذكره بعد ذلك هذا الأصل. يمكن أحيانا أن نغير النظام لأن العربية لغة معربة فيجوز فيها تغيير النظام فبدل أن نقول كتب زيد رسالة على النظام يمكن أن نقول كتب رسالة زيد وهذا التقديم طبعا له غرض بلاغي يعني كأن يختلف زيد كتب رسالة أو قصيدة أو أقصوصة نقول لا زيد رسالة كتب. لما يقدم ليس من أجل الوزن لأن الشاعر متمكن يستطيع أن يتصرف لكنه يقدم بغرض بلاغي لغرض معنوي.

لما ننظر في الآيتين الكريمين، نحن دائما نقول: ينظر في النص لم قدم هنا هذا وأخر هنا هذا؟ الآية الأولى في سورة المؤمنون (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين) (كنا) كان مع اسمها مثل كان زيد، (ترابا وعظاما) مثل (كان زيد ناجحا وكريما) معطوف على الخبر مباشرة يعني نظام الجملة يأتي كما هو نجد أن النظام الذي جاء (لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا) المفعول به جاء متأخرا وفق النظام وعندما يكون وفق النظام لا يسأل عنه. أنت لا تسأل عن (كتب زيد رسالة) لا تسأل لم أخر رسالة؟ لكن السؤال في آية سورة النحل لم غير النظام (لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا). لاحظ الآية (وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون (67) النمل) النظام في غير القرآن أن يقول: إءذا كنا نحن وآباؤنا ترابا، فلما قدم ترابا المعطوف على المرفوع ولما يكون المعطوف عليه خبرا ينبغي أن يؤكد بضمير هذا الأفصح (كنت أنا وزيد مسافرين) حتى يكون الربط. منها هنا لأن المعطوف والمعطوف عليه ينبغي أن يتصلا لا أن يكون بينهما فاصل. هنا غير النظام فقال (أئذا كنا ترابا وآباؤنا) قدم المنصوب وجعله فاصلا بين المعطوف والمعطوف عليه فقدم. فلما قدم المنصوب قدم (هذا) (لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا) حتى يكون هناك نوع من التناسق. هنا تقدم كأنه غير النظام وهنا تقدم والله أعلم. (محمود نحلة - نظام الجملة، ص 106).

نظام الجملة في اللغة الفارسية

اللغة الفارسية هي من أعذب اللغات العالم خطابًا وأدبًا لأنها لغة العلم والأدب والشعر ولغة الحياة والصناعة والدواوين وأصبحت أداة للتعبير بين الأمم عن أدب راق عظيم. والحق أن اللغة الفارسية تبذ سائر لغات العالم بهذا النوع من الأدب الإسلامي الإنساني الفلسفي الذي يرتفع عن جدال المذاهب وعصبيات الأجناس، وينفذ إلى بواطن الأشياء فيرى الوحدة الإلهية المتجلية في مظاهرها العديدة. (غفوري، 2020م، 46).

يمكن أن نشرح نظام الجملة في اللغة الفارسية في تعبيرها على النقاط التالية:

أولا: أن الجملة في اللغة الفارسية تختلف في تركيبها عن الجملة في اللغة العربية، فعلى الرغم من أن الجملة تنقسم إلى قسمين: اسمية وفعلية كما في العربية، فإن الجملة الاسمية في اللغة الفارسية تزيد في تكوينها عن العربية جزءا ثالثا وهو الرابطة التي تربط الجزءين الرئيسيين وهما المبتدأ والخبر، وتختلف هذه الرابطة باختلاف المبتدأ أو المسند إليه، وكذلك الحال بالنسبة للجملة الفعلية فهي تختلف مع العربية في ترتيب أجزائها، ففي العربية تبدأ الجملة الفعلية بالفعل في حين تنتهي الجملة الفعلية في الفارسية بالفعل، وهذا الاختلاف يجعل الترجمة تغييرا في المعنى، فلكل كلمة استخدامها في وضعها بالجملة إن كانت الكلمة مقدمة أو مؤخرة، فلكل كلمة مقامها الذي يتطلب استعمالها.

وعلى هذا النمط العربي نجد البيان القرآني في بنائه التعبيري يقدم الفعل إذا كان الحديث عن الفعل هو المهم أو المقصود بالحديث، وذلك نحو قوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ} (سورة المؤمنون الآية 12) . إذ المقصود الحديث عن خلق الإنسان وما ينطوي عليه من إعجاز، وليس المقصود الحديث عن الخالق.

وعلى هذا المسار التركيبي سار البناء في الآيات بعد ذلك فقال تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ} (سورة المؤمنون الآية 13) {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} (سورة المؤمنون الآية 14)

.

في حين نرى الترجمة الفارسية : تنتهي بالفعل الذي هو المقصود من الحديث والذي هو في الأصل بداية الجملة فنرى الترجمة تقول: " وهمانا آدمي را از گل خالص آفريديم (12) بس آنكاه نطفه كردانيد، ودرجاي استوار (صلب رحم) قرار داديم (13) آنگاه نطفه را علقه وعلقه را گوشت پاره وباز آن گوشت را استخوان وسپس بر استخوانها كوشت بوشانيديم بس از آن خلقتي ديگر انشا نموديم آفرين برقدرت كامل بهترين آفرينند.

نجد الأفعال آفريديم، قرار داديم، پوشانيديم، انشا نموديم. قد وضعت في نهاية الجمل.

ثانيًا: أن الصيغ التي تدل على الفاعل في اللغة الفارسية إما أن تبنى على فاعل معلوم أو فاعل مجهول، وهي المعروفة بصيغة المبني للمعلوم والمبني للمجهول، أما في اللغة العربية فلا تقتصر في الحديث عن الفاعل على هاتين الصيغتين ولكنها تضيف صيغة ثالثة تلك هي صيغة الفعل المطاوع، فقولنا: (انسكب الماء) يختلف في دلالته عن قولنا: (سكب الطفل الماء) وعن قولنا: (سكب الماء) وذلك لأن التعبير الأول يقدم معنى لا

تدل عليه دلالته الدقيقة صيغة من الصيغتين الأخيرتين، فقولنا: (سكب الطفل الماء) يقال لمن يهمه أن يعرف من الذي سكب الماء، وقولنا: (سكب الماء) يقال كذلك لمن يقصد التعرف على الفاعل، لكنا نخبر عن ذلك الطريق إما بجهلنا بمن وقع منه الفعل، أو بعدم إرادتنا ذكره. أما حين نقول: (انسكب الماء) فإننا نوجه الحديث لمن يتوقع انسكاب الماء وينتظره، ولا يهمه أن يعرف ساكبه ولا عدم معرفته، ولا شك في أن الفارق كبير بين هذا وذاك، وهذا الفارق الكبير يعين اللغة على الدقة في استيفاء وجوه الدلالة، حتى يتمكن بها من ملاحظة مقتضى الحال.
حقيقة توجد في نظام جملة اللغة الفارسية بضعة أفعال تسمى الأفعال ذوات الوجهين، أي التي تكون لازمة أو متعدية حسب سياق الجملة دون أن يتغير تركيبها مثل فعل: شكستن، ريختن، سوختن، گشودن، افروختن.
وهذه الأفعال قريبة في استخدامها من صيغة الفعل المطاوع في العربية، ولكنها قليلة من ناحية ولا تؤدي الغرض من الفعل المطاوع من ناحية أخرى وسنرى ذلك في بيان الترجمة الفارسية لمعاني القرآن الكريم في النموذج التالي.
وهذه إحدى مميزات اللغة العربية في بنائها عن غيرها من اللغات. وإذا نحن تأملنا آيات القرآن الكريم من هذا المنطلق وجدناه قد جمع بين هذه الصيغ الثلاث في بنائه التعبيري، ولأن الذي يعنينا -هنا- هو أن نقف على استيعاب البيان القرآني لكل ما يميز اللغة العربية عن غيرها من اللغات في البناء التركيبي، لا أرى ما يدعونا لأن نطيل بذكر نماذج قرآنية لصيغة المبني للمعلوم والمبني للمجهول، فهذا واضح لا يحتاج برهانا، إنما الذي يحتاج البيان هو الصيغة الثالثة (صيغة الفعل المطاوع)، وهذه الصيغة في القرآن لا تقصد لذاتها، وإنما شأنها شأن كل الصيغ تأتي حين يتطلبها الموقف مؤدية المطلوب، محققة المقصود. من ذلك قول الله سبحانه وتعالى: (وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ) (سورة البقرة الآية 74) ونرى الترجمة الفارسية تقول: " چه آنكه پاره اى ازسنگهاست كه نهرهاى آب از آن مي جوشد وبرخى ديگر سنگها بشگافد وهم آب از آن بيرون آيد".
فنجد الترجمة قد أتت بالفعلين في المبني للمعلوم وكأن الحجارة هي الفاعل، في حين أن الفعلين (يتفجر ويشقق) مضارعان، ماضيهما تفجر وتشقق وهما مطاوعان لفجر وشقق، فالحجارة لا يتأتى منها الفعل، ولكنها خاضعة تستجيب للقوة العليا حين تفجرها وتشققها بتجميع أسباب التفجير والتشقيق عليها.
فالآية الكريمة بذلك تلفت نظر المتأمل إلى ما وراء تلك الظواهر الطبيعية من قدرة الله ومشيئته دون أن يتصادم الظاهر مع الواقع الحق.
ومن ذلك أيضا قوله سبحانه وتعالى: {فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ} (سورة البقرة الآية 266) .
نجد الترجمة الفارسية تقول: "...ودرباغ أو بادى آتش بار افتدهمه را بسوزاند " فجعلت الفعل متعديا، أي المعنى يكون فأصابها إعصار فيه نار فأحرقتها، وهذا لا يحقق المقصود بيانه من إتيان النار عليها لأن الإحراق يفيد حرق الكل كما يفيد إحراق الجزء، فلما جاءت الآية على هذا أفادت أن الإحراق من النار وليس ذاتيا، وأن إحراق النار إياها شامل وليس إحراقا جزئيا.
ومنها أيضا قوله: {فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا} (سورة البقرة الآية 60) وانفجر مطاوع فجر.
ونرى الترجمة تقول: " بس دوازه جشمه آب از آن سنك بيرون آمد " فالفعل هنا مبني للمعلوم وكأن عيون الماء هي الفاعل، بالإضافة إلى ركاكة المعنى إذ أن ترجمة الفعل هي (خرجت) بدلا من (انفجرت) .
والآيات المشتملة على صيغة المطاوعة كثيرة ونجدها مختلفة في الترجمة، فتارة يترجمها المترجم على أنها أفعال مبنية للمعلوم كما رأينا، أو يتصرف في ترجمة تفسيرية لها تكون قريبة من المعنى.
ثالثا: أن اللغة العربية تحرص على أن تستوفي أدوات الصفة وكافة شروطها، وذلك أن الصفات لا بد فيها من المطابقة بينها وبين الموصوفات كل المطابقة، بخلاف الأسماء، فليس ضروريا فيها أن تطابق مسمياتها، إذ الأسماء قد تكون توقيفية لا إرادة للمتكلم في وضعها وإطلاقها على مسمياتها، وقد نطلق اسما على مسمى لأدنى ملابسة دون أن تكون هناك مطابقة بين الاسم ومسماه، وذلك بأن نسمي الشيء باسم أرضه، أو باسم صاحبه، أو باسم حادث وقع عندما تعرفنا عليه، أو باسم كاشفه، إلى غير ذلك من الملابسات. وقد تكون الأسماء منقولة عن لغة أخرى بحروفها أو مع تعديل فيها.
أما الصفات فلا بد من أن تطابق موصوفاتها، ومن ثم حرصت اللغات على أن تكون هناك مطابقة بين الصفة والموصوف، لكنها لم تتمكن من استيفاء جميع أدوات الصفة وشروطها كما تمكنت منها اللغة العربية. فالصفة في اللغة العربية تابعة للموصوف مطابقة له في الإفراد والتثنية والجمع، وفي التذكير والتأنيث، وفي التعريف والتنكير، وفي مواقع الإعراب، وبتعبير آخر: الصفة العربية تطابق الموصوف في العدد وفي الجنس، وفي التحدد والشيوع، وفي الشكل العارض للفظ، أما في اللغات الأخرى فقد تجد فيها بعض تلك المتابعات لكنك لن تجدها جميعا بقواعدها المطردة إلا في اللغة العربية.
وفي الفارسية تجد عكس ذلك تماما، فلا تطابق يذكر بين الصفة والموصوف، لا في الإفراد والجمع، ولا في التذكير والتأنيث، ولا في التعريف والتنكير.
وهذا فرق جوهري بين اللغتين يظهر واضحا في ترجمة كل آيات القرآن الكريم بحيث يصبح من العبث إيراد نماذج لبيان ذلك الاختلاف.
ومن ثم يتقرر أن البناء التعبيري في البيان القرآني لا يخرج على البناء التعبيري للغة العربية في قليل ولا في كثير، وإنما هو يسير وفق منهج العربية تماما في بنائها.
وبالتالي فإن روح اللغة العربية بمعانيها وأخيلتها هي التي تسري في البيان القرآني في أرقى مدارجها وإمكاناتها، بحيث تتحقق بالقرآن المعجزة البيانية من خلال اللغة العربية التي اصطفاها الله سبحانه لينزل القرآن الكريم بها دون غيرها.

ضوابط ترتيب الجملة العربية في الأصل والعدول

بيان المصطلحات

أولا: الرتبة

المقصود بالرتبة لغة: "المكانة والمنزلة، يقال: رتب الشيء أي ثبت فلم يتحرك، رتب رتوب الكعب أي انتصب انتصابه، ورتبه ترتيبا: أثبته. وفي حديث لقمان بن عاد: رتب رتوب الكعب، أي: انتصب كما ينتصب الكعب إذا رميته، ومنه حديث ابن الزبير، رضي الله عنهما: كان يصلي في المسجد الحرام وأحجار المنجنيق تمر على أذنه، وما يلتفت، كأنه كعب راتب. والكعب: عقدة ما بين الأنبوبين من القصب والقنا، وقيل: هو أنبوب ما بين كل عقدتين، وقيل: هو العظم الناشز عند ملتقى الساق بالقدم " (ابن منظور - لسان العرب، مادة: رتب).

والمقصود بالرتبة اصطلاحا: الموقع الأصلي الذي يجب أن تتخذه الوظيفة النحوية بالنسبة للوظائف الأخرى المرتبطة بها بعلاقة نحوية تركيبية، فهي (الرتبة) وصف لمواقع الكلمات في التركيب.(لطيفة النجار - دور البنية الصرفية، ص 196).
وسيرد استعمال لفظ (الرتبة) أيضا، بالمعنى اللغوي، ليدل على المنزلة أو المكانة، والمعنيان (اللغوي والاصطلاحي) في هذه الدراسة متداخلان، فالتقدم في الرتبة يعني التقدم في المنزلة والموقع معا، والتأخر في الرتبة يعني التأخر في المنزلة والموقع معا كذلك.
ثانيا: الخاص
المقصود بالخاص في هذه الدراسة هو: القريب أو الأهم.
ثالثا: العام
المقصود بالعام في هذه الدراسة هو: البعيد أو الأقل أهمية.
رابعا: المبني عليه
المقصود بالمبني عليه في هذه الدراسة هو: الأساس الذي يتركب عليه الكلام (الطالب أو المحتاج).
خامسا: المبني
المقصود بالمبني في هذه الدراسة هو: الوظيفة النحوية في التركيب النحوي (المطلوب أو المحتاج إليه).
سادسا: الاحتياج
المقصود بالاحتياج في هذه الدراسة هو: الطلب أو العلاقة المعنوية.
ضوابط الترتيب
الإنسان يفكر باللغة ويلغو بالفكر، ومن المفترض أن الإنسان عندما يتكلم يقوم بالاختيار من ثقافته اللغوية، وهذا الاختيار مضبوط بضوابط الاختيار أوضوابط التبادل المعجمي في المواقع التركيبية وهي: الضابط المعنوي، أوكما يسميها الجرجاني الفروق والوجوه، والضابط المعنوي اللفظي (أوالمحسنات البديعية المعنوية اللفظية)،وبعد الاختيار يأتي التأليف، وهاتان العمليتان تندمجان معا في ذهن الإنسسان، ثم يتحول النشاط اللغوي غير المحسوس أو المعاني تلقائيا إلى نشاط لغوي محسوس نسميه الكلام.
"وعملية تأليف الجمل تنتظمها رتب تختلف في اللغة الواحدة، إلا أن تغيرات الرتبة في اللغة الواحدة ليست اعتباطية أو غير محددة، بل هناك ما يدل على وجود قيود على رتب المكونات الكبرى، والصغرى، ومن أهداف النظرية اللسانية أن تبحث في مجموعة المبادئ التي تقيد الرتب داخل اللغات، لأن كفايتها ليست مرهونة فقط بتخصيص ووصف ما يلاحظ من الظواهر الرتبية، بل أيضا بحصر ما لا يمكن أن يلاحظ منها (الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ص 103) "فالكلمات لا تتوالى في الجملة على نحو عشوائي بل يخضع ترتيبها لأنساق تركيبية مضطردة" (ممدوح الرمالي، العربية والوظائف النحوية، ص 220) يتحكم المعنى في الجزء الأكبر منها ويتحكم اللفظ في القليل الباقي وتترتب الكلمات في الجملة العربية وفق ضوابط معينة تتحكم في ترتيبها وحركة عناصرها. وهذه الضوابط تتحكم أو تؤثر في الكلام المتراتب نحويا ومعنويا وأول هذه الضوابط هو ضابط المعنى وثانيهما هو ضابط اللفظ.
أولا: التقدم (بالسبب المعنوي)
فقد قال سيبويه: "كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم" (سيبويه - الكتاب، ج1،ص 34) فالمهم يتقدم على الأقل أهمية والألفاظ تترتب بحسب ترتبها في النفس، وهذا ما يراه عبدالقاهر الجرجاني حيث يقول "وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه من بعض وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق، مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها من بعض، حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هناك، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصلح " (عبدالقاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز، ص 49).
فلا بد إذن من مراعاة مواقع الكلام بعضه من بعض، فقد تصلح الكلمة في موقع ولا تصلح في موقع آخر وذلك بالنظر إلى ائتلافها مع جاراتها من الكلمات في الجملة. ولا بد من أن يكون هناك سبب يقتضي وضع الكلمة في هذا الموقع أو ذاك، ولو وضعت في غير مكانها لم يصلح، فكل كلمة لها الموقع الذي يناسبها.
وقد فسر السهيلي (583هـ) كلام سيبويه قائلا " وما تقدم من الكلام فتقديمه في اللسان على حسب تقدم المعاني في الجنان والمعاني تتقدم بأحد خمسة أشياء: إما بالزمان، وإما بالطبع، وإما بالرتبة، وإما بالسبب، وإما بالفضل والكمال فإذا سبق معنى من المعاني إلى الخلد والفكر بأحد هذه الأسباب الخمسة أو بأكثرها سبق اللفظ الدال على ذلك المعنى وكان ترتب الألفاظ بحسب ذلك. نعم وربما كان ترتب الألفاظ بحسب الخفة والثقل لا بحسب المعنى كقولهم: ربيعه ومضر. " (السهيلي- نتائج الفكر، ص 268).
أما العلائي (761هـ) فيقول في الفصول المفيدة في الواو المزيدة: "روي أن عمر رضي الله عنه أنكر على سحيم عبد بني الحسحاس قوله:"كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا"وقال: لو قدمت الإسلام على الشيب. ولم أجد لإنكار عمر رضي الله عنه على سحيم سندا ولكنه مشهور في كثير من الكتب، وقد أجيب عنه بأن ذلك الإنكار على وجه الأدب في تقديم الأهم في الذكر،فالنطق الواقع في الزمان الأول متقدم بالطبع على النطق الواقع في الزمان الذي بعده، وهو السر فيما حكاه سيبويه عن العرب أنهم يبدأون بما هو الأهم عندهم وكانت العناية به أشد، فكل ما قدم بالزمان دل على أن المتكلم قصد الاهتمام به أكثر مما بعده، وذلك يقتضي تفضيلا. فإنكار عمر رضي الله عنه لهذا المعنى" (العلائي، الفصول المفيدة، ص 93 - 94).
فالأصل أن يتقدم الإسلام على الشيب بالرتبة والفضل والشرف، ولكن تقدم الشيب بالسبب اللفظي عدولا.
وبناء على ما تقدم فالذي يبدو لي أن المباني تترتب بالرتبة (المنزلة) بغض النظر عن سبب التقدم هذا، وتترتب الجملة العربية في الأصل من المبني عليه إلى المبني بالرتبة من الخاص (القريب) إلى العام (البعيد) والمباني إما أن تتقدم بالزمان وإما بالطبع، وإما بالرتبة، وإما بالسبب وإما بالفضل والكمال، وإما بالخفة والثقل، والعدول من العام إلى الخاص.
وهذا يتوافق وما يقوله ابن القيم كذلك من أن هناك طريقتين معروفتين في الكلام " الترقي من الأخص إلى ما هو أعم منه، إلى العام (البعيد) (أوالأقل أهمية).
(وهو الأصل) والنزول من الأعم (الأهم) إلى الأخص منه إلى الخاص (القريب) (الأقل أهمية) وهذا هو الخروج عن الأصل) (ابن القيم، بدائع الفوائد،ج1، ص81).
فالكلام يترتب بحسب الأهمية المعنوية أصلا وعدولا.
ثانيا: التقدم بالسبب اللفظي

"وربما كان ترتيب الألفاظ بحسب الخفة والثقل لا بحسب المعنى" (السهيلي - نتائج الفكر، ص 268.2) ومن الأسباب اللفظية التي تترتب بموجبها الألفاظ: الخفة والثقل، الصدارة، تناسب الفواصل، المشاكلة اللفظية ...الخ.....وخلاصة الأمر هو أن رتبة المباني (مواقعها أو ترتيبها) تترتب بفعل الرتبة (المنزلة) من الخاص إلى العام أصلا ومن العام إلى الخاص عدولا.

وإذا كان النظم عند الجرجاني " أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت" (عبد القاهر الجرجاني - دلائل الإعجاز ، ص50) وبما أن النظم يعتمد على الرتبة فمعنى ذلك أن النحو العربي يقوم على الرتبة كذلك وأن قانون الرتبة يستحق أن يسمى " قانون تأليف الجمل أصلا وعدولا. "

العدول عن أصل ترتيب الجملة العربية

يجيب الجرجاني ذاكرا كلام سيبويه عن التقديم والتأخير وتفسير النحويين له فيقول: واعلم أنا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئا يجري مجرى الأصل غير العناية والاهتمام، ومعنى ذلك أنه قد يكون من أغراض الناس في فعل ما، أن يقع بإنسان بعينه ولا يبالون من أوقعه، (فإذا حدث الفعل) وأراد مريد الإخبار بذلك قدم المفعول على الفاعل، (وبهذا ينصب الفعل على المفعول) لأنه يعلم أن ليس للناس في أن يعلموا شخص الفاعل جدوى وفائدة. فإذا وقع الفعل من شخص ليس من عادته فعل هذا الفعل، وأراد المخبر أن يخبر بذلك فإنه يقدم ذكر الفاعل، (وبهذا ينصب الفعل على الفاعل) ذاك لأن الذي يعنيه ويعني الناس طرافته وندرته، ومعلوم أنه لم يكن نادرا وبعيدا من حيث كان واقعا بالذي وقع به، ولكن من حيث كان واقعا من الذي وقع منه. (الجرجاني -دلائل الإعجاز-صص 108 – 108).

وهذا يدل على أن المباني تترتب بالمنزلة والأهمية أصلا وعدولا من أجل الهدف المعنوي.ولكن الجرجاني يرفض اقتصار التعليل على العناية والاهتمام، من دون ذكر مصدر هذه العناية، وبم كان أهم " (المصدر نفسه، ص 108) وأظنه قد أصاب عندما رفض هذه المفردة العامة والموجزة،فلا بد من تفسير وتوضيح للعناية والاهتمام وإن كان التقديم لا يقتصر على الهدف المعنوي.

ولذلك ينبغي التفرقة بين الأهمية كأساس وبين الأهمية كهدف نسعى إليه وبين التقديم بالأهمية وللأهمية.

فعميلة تقديم عنصر لغوي مضبوطة بالمنزلة، من أجل هدف معين، فالأساس الذي تتم عملية التقديم والتأخير بناء عليه هو المنزلة (قوة العلاقة المعنوية) من أجل هدف قد يكون معنويا، أو بلاغيا، أو أمنا للبس .... إلخ.

وكما تترتب الجملة في الأصل بناء على الضابطين المعنوي واللفظي، فهي تترتب بناء عليهما في العدول، ولأهداف كثيرة، وتفصيل ذلك كما يلي:

أ- العدول عن أصل الرتبة بالضابط المعنوي:

1 - للهدف المعنوي:

ويظهر هذا من خلال الأمثلة التالية:

فمن ذلك قوله تعالى (أئفكا آلهة دون الله تريدون) (الصافات 86) وهذه الآية تترتب من العام إلى الخاص عدولا، والأصل فيها أتريدون آلهة دون الله إفكا " ثم انظر إلى حسن عكس الرتبة بإيراد المفعول لأجله أولا، ثم المفعول به الموصوف بشبه الجملة، ثم الفعل وفاعله، فالآية كما تعلم استفهام إنكاري، وما دام معناها الإنكار فإن ترتيب ألفاظها ينبغي أن يكون بحسب الأولوية في استحقاق الإنكار، وأول الألفاظ بالإنكار لفظ " إفكا" لأن الكفر قد يكون ميراثا عن الآباء، ولكنه قد يكون انحرافا عن الحق متعمدا لا ينفع معه الدليل على فساده، فذلك هو الإفك، ثم يلي في الإنكار أن يذهب الإفك عن إشراك آلهة مع الله، فإذا كانت الآلهة دون الله لا معه فهذا أوغل في الشرك، ويضاعف من سوء ذلك كله أن يكون ذلك بإرادتهم واختيارهم ولو أن سياق الكلام كان على صورة أخرى مثل " أتريدون آلهة دون الله إفكا " لانطفأ كل ما في الكلام من حرارة الإنكار، ولبدا الكلام وكأنه سؤال لهم عما يفضلونه من أنواع الشرك " (تمام حسان -البيان في روائع القران، ص 95) "وقد وجدنا أن المفعول لأجله وهو آخر الأبواب النحوية ترتيبا قد تصدر هذا الشاهد يتلوه المفعول به ونعته، وذلك لأن أول ما تعلق به الاهتمام هو السببية التي عبر عنها المفعول لأجله، لأن الكفر عن ضلال قد ترجى له الهداية، أما الكفر عن إفك فذلك انحراف مع تدبير وكيد وإصرار"(المصدر نفسه، ص 95).

ومن الملاحظ أن الإنسان ينصب المفاعيل قبل ذكر الفعل، فهو يتحدث تحت رعاية الاحتياج المعنوي بين أجزاء التركيب مع علامات أمن اللبس.

فالأصل تقدم الفعل فالفاعل فالمفعول فالصفة فالمفعول لأجله بالأهمية، ولكن عدل عن الأصل وتقدم المفعول لأجل بالمنزلة ليلي همزة الاستفهام الإنكاري لأن الاهتمام قد تعلق به، ثم تبعه المفعول به في شدة الاستنكار ثم وصف المفعول .... والمباني مترتبة بالمنزلة من العام إلى الخاص، وقد تمت إعادة توزيع الرتبة من أجل الهدف المعنوي ومعنى المعنى، يقول الجرجاني: " ومن الصفات التي تجدهم يجرونها في اللفظ ثم لا تعترض شبهة ولا يكون منك توقف، في أنها ليست له ولكن لمعناه قولهم: لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك " وقولهم: يدخل في الأذن بلا إذن، فهذا مما لا يشك العاقل في أنه يرجع إلى دلالة المعنى على المعنى، وأنه لا يتصور أن يراد به دلالة اللفظ على معناه الذي وضع له في اللغة ويلاحظ التناغم الدلالي بين المباني بحفظ رتبة الموصوف وصفته في الأصل والعدول.

2 - للهدف البلاغي:

وقد يعدل عن الأصل من أجل الهدف البلاغي " وإنه يبدو أن التقديم والتأخير وفوائده هو أوضح ما جذب انتباه البلاغيين من الأساليب العدولية إذ جعلوا ذلك مبحثا خاصا من مباحث علمهم، وربطوا بين التقديم والاهتمام بالمتقدم حتى لقد قاربوا في المعنى بين التقديم والقصر في الأكثر الأعم من الحالات " (تمام حسان -البيان في روائع القران،ص 387) ويظهر العدول عن الأصل من أجل الغرض البلاغي في الأمثلة التالية:

ومن ذلك قوله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) (فاطر 28) والأصل تقدم الفاعل على المفعول بالمنزلة ولكن تقدم المفعول بالرتبة من أجل الغرض البلاغي وهو الحصر وقد تقدمت إنما بالصدارة ثم تبعها الفعل بالرتبة لأنها دخلت لمعنى فيه وهو قصر الخشية على العلماء، ثم تقدم لفظ الجلالة، فصارت الآية تترتب من العام إلى الخاص، وإعادة توزيع الرتبة جاءت من أجل الغرض البلاغي وللاتصال المعنوي من العام إلى الخاص والمباني متقدمة بالرتبة من أجل قصر خشية الله على العلماء، والعدول هنا واجب وذلك" لأنه لا يعرف متعلق الحصر إلا بتأخيره" (ابن مالك،شرح التسهيل، ج2،ص 66).

3- أمن اللبس:

وقد يعدل عن الأصل من أجل أمن اللبس لأن " اللغة العربية - وكل لغة أخرى في الوجود تنظر إلى أمن اللبس باعتباره غاية لا يمكن التفريط فيها، لأن اللغة الملبسة لا تصلح واسطة للإفهام والفهم " (تمام حسان-اللغة العربة معناها ومبناها، ص233) وقد يطرأ على الرتبة غير المحفوظة من دواعي أمن اللبس ما يدعو إلى حفظها، كما في ضرب موسى عيسى، وأخي صديقي وقد يطرأ عليها من ذلك ما يحتم عكسها كالذي نراه من لزوم تقديم الخبر على المبتدأ أحيانا وفي ذلك يقول ابن مالك:

ونحو عندي درهم ولي وطر ملتزم فيه تقديم الخبر كذا إذا عاد عليه مضمر مما به عنه مبينا يخبر

وقال أيضا: وإن بشكل خيف لبس يجتنب ويمكن أن يظهر العدول عن الأصل من أجل أمن اللبس في الأمثلة التالية: ومن العدول عن الأصل من أجل أمن اللبس قوله تعالى: (يؤتى الحكمة من يشاء) إذ المعروف في أخوات أعطى أن الآخذ هو المفعول الأول وأن المأخوذ هو المفعول الثاني، وبهذا يكون الأصل في التركيب " يؤتى من يشاء الحكمة " ولكن هذا التركيب ملبس لصلاح الحكمة أن تكون مفعول " يشاء " لا مفعول " يؤتي " فعكست الرتبة لأمن اللبس (تمام حسان-البيان في روائع القران، ص 288) ولذلك تقدم العام على الخاص بالمنزلة، والملاحظ أن النحاة كانوا يلمحون (الاحتياج المعنوي ومنزلة المعنى) بين طرفي الجملة كما كانوا يلمحونه أيضا بين المعاني النحوية في داخل الجملة الواحدة، وهذا هو المعنى الذي نلاحظه في إعراب جملة مثل " يؤتي الحكمة من يشاء " حين نعرب " من " مفعولا أولا على رغم تأخرها والحكمة مفعولا ثانيا على رغم تقدمها ويكون ذلك بإدراك ما بينهما من (علاقة الاحتياج المعنوي) إذا نقول إن " من " هي الآخذ " والحكمة " هي المأخوذ. والخلاصة أن مراعاة الآخذية والمأخوذية هنا هي الاعتبار الذي تم إعراب المفعولين طبقا له " (المصدر نفسه، ص 194) ومراعاة معنى الآخذية والمأخوذية ما هي إلا المنزلة. ومثل الآية السابقة قوله تعالى: (والله يؤتي ملكه من يشاء) (البقرة 247) فقد تعلقت"ملكه"بيؤتي عدولا عن الأصل من أجل أمن اللبس، لأن كونها مفعولا ليؤتي أقرب من كونها مفعولا ليشاء فالكلام يترتب بالمنزلة والمكانة أصلا وعدولا، والإنسان يتحدث تحت رعاية الاحتياج المعنوي وعلامات أمن اللبس.

نماذج التطبيقي بين العربية والفارسية

كما تعلمون أن اللغات جميعها.. بينها .. بعض الخصائص المشتركة، وأمامي كتاب وجد مؤلفه شبها بين العربية والفارسية، وسبب هذا التشابه بين العربيه والفارسية هو:

سعة اللغه العربية وغناها وضيق اللغات الأخرى وفقرها النسبي فاللغه الفارسية بها سبع ألف جذر لغوي والإنجليزية بها ألفا جذر بينما العربية بها ستة عشر ألف جذر لغوي، أضف إلى ذلك السعة الأخرى وهي التفعيل والاشتقاق والتركيب ففي الفارسية لفظ "كلان" بمعنى طويل والتشابه هنا واضح جدًا ولكن نجد أن العربية تخرج منه مشتقات وتراكيب ليس لها عدد يطول طائل طائله طويل وغيره بينما لفظ "كلان" لا يخرج منه شي.

وفي نقاش لي مع أحد إخوة العرب ذكر لي أن كلمة قفص العربية -وصيغتها الفارسية قفس- بمعنى محبس للطيور يكون أعوادا متشابكة من جريد وغيره، ليستا من العربية بل دخيلتان من اليونانية. وكان ما ذكره باعتمادا على ما ذكره الدكتور حسن عميد صاحب المعجم الفارسي الشهير "فرهنگ فارسي عميد" (معجم عميد الفارسي) من أن قفس الفارسية وقفص العربية من اليونانية (كفاسي). وهذا نص ما ذكره الدكتور حسن عميد:

قفس: (اسم) [معرب، مأخوذ از يوناني] قفص (Qafas) جايگاه مشبک چوبي يا فلزي که براى پرندگان يا حيوانات وحشى درست کنند.

وترجمته: (اسم) [معرب مأخوذ من اليونانية] قفص (Qafas) موضع مشبك يتخذ للطيور والحيوانات البرية.

ولم أطمئن إلى ما ذكره لأن كثيرًا من المعجميين يميلون إلى مثل هذا الطرح عند تأثيل الكلمات العربية، فينسبون المفردة العربية إلى السريانية، أو الفارسية، أو العبرية، أو اليونانية، أو إلى غيرها؛ بناء على تشابه اللفظ وتوافق المعنى أو قربه من المعنى العربي. وهذا بلا شك مخالف للإنصاف العلمي ولأدبيات علم التأثيل.

وما ذكرته حول كلمة "قفص" فإننا نجد ما يلي ورد في اللسان ما يلي:

القفص واحد الأقفاص التي للطير. والقفص شيء يتخذ من قصب أو خشب للطير. والقفص خشبتان محنوتان بين أحنائهما شبكة ينقل بها البر إلى الكدس.

أما في القاموس المحيط فالقفص بالتحريك: محبس الطير. وأقفص: صار ذا قفص من الطير. وثوب مقفص، كمعظم: مخطط كهيئة القفص.

ونجد ابن فارس في المقاييس يقرر أن القاف والفاء والصاد كلمات تدل على جمع واجتماع. وأن العرب تقول: تقفص، إذا تجمع، وقفصت الظبي، إذا شددت قوائمه جميعا. ونقل الأزهري عن الليث:"القفص شيء يتخذ من قصب أو خشب للطير"

أما ابن دريد فقد ذكر اشتقاق القفص فقال: والقفص: قفصك الشيء إذا جمعته وقرنت بعضه الى بعض. وقفصت الدابة، إذا شددت أربع قوائمه؛ وكذلك قفصت يعسوب النحل، إذا شددته في الخلية بخيط لئلا يخرج. وكل شيء اشتبك فقد تقافص، ومنه القفص المعروف.

سنرى مثال آخر من أمثلة التشابه الواقع بين العربية والفارسية. وهو كلمة عنبر (Anbar) اسماً لمخزن الغلة والقمح. وقد قال بعض الفضلاء إن عنبر فارسية الأصل محرفة من كلمة (أنبار) الفارسية بدليل أن الفرس القدماء سموا إحدى مدنهم في العراق (أنبار).

فقلت: ولكن المعاجم العربية وخاصة معجم البلدان لياقوت تذكر أن (أنبار) عربية وأنها جمع (نبر) بمعنى ألهري الذي يجمع على أهراء. وهي أي الأهراء مخازن الغلال كالأنبار.

وأزيد على ذلك أن جماعة من عرب تنوخ في عهد ملوك الفرس الأقدمين المشهورين بملوك الطوائف نزلوا مدينة (الأنبار) الفارسية العراقية وكان اسمها بالفارسية فيروزسابور فرأى فيها التنوخيون أكوام الغلال مرتفعة هنا وهناك فسموا مدينة (فيروزسابور) باسم (أنبار) لكثرة ما رأوا فيها من أنبار الغلال. وبقي الاسم عليها إلى اليوم. والنبر في اللغة العربية بمعنى الارتفاع ومنه المنبر ونبرات الصوت. ثم حرفت كلمة (أنبار) إلى عنبر بالعين المهملة.

ونفس الملاحظه على اللفظ الفارسي "خوب" وهو جيد بالعربي نجد منها الاشتقاق جود والجودة والإجادة

ويجود وجواد وغيره من الاشتقاقات ولانجد أي اشتقاق للفظ "خوب"، ونجد باللغة العربية أن اللفظة الواحدة اكثر من معنى بمجرد تغيير الوزن فمثلا: قاتل وقتيل وفيض وفيضان ... اختلافات بالمعنى ولكن احيانا تصل الي العكس مثل قاتل وقتيل، وهذا الايقاع الوزني غير معروف في اللغات الأخرى

وإذا لزم المر لا يجد الانجليزي بد من استخدام كلمتين مثل GOOD و VERY GOOD للتعبير عن الجيد والاجود وهناك ميزه اخرى ينفرد بها الحرف العربي ان لكل حرف دلاله ورمزيه ومعنى فحرف الحاء مثلا يرمز الي للحده والسخونه مثل حمى وحراره وحر وحب وحريق وحقد بينما نجد حرف اخر مثل الخاء مثلا يرمز الي كل ماهو كريه وسيئ ومنفر ويدخل في كلمات مثل: خوف و خزي و خجل و خيانه و خلاعه و خذلان خسه و خسيس، ونراء ايضا ان الطفل اذا لمس شي حار قال اح والكبير اذا نسي امر قال اخ والنسيان امر سيئ وهذه الرمزيه الخاصه بالحرف والتي تجعله بمفرده ذا معنى تنفرد بها اللغه العربيه ولذا نجد ان القران بداء بعض الصور، بحرف واحد مثل ص أو .. ق .. او ن

وكأن الحرف بحد ذاته يعني شي ولان للحروف العربيه معنى ومدلول نستطيع ان نؤلف جملا قصيره جدا.

وقد نرى هذا التشابه في كلمة "سيبويه" وقد ألقى العلماء الأقدمون ضوءا على هذا اللقب الفارسي؛ فذكروا أنه مركب من (سيب) بمعنى التفاح، و (ويه) بمعنى الرائحة. وقد بحثت وسألت كثيرا من دارسي الفارسية عن صحة الزعم بأن (ويه) كلمة تدل على الرائحة؛ فاهتديت إلى بطلان ذلك، وأن لا أساس له من الصحة.

وبعض العلماء الأقدمين -وهو أبو عبد الله بن طاهر العسكري- يزعم أن الاسم من (سي) الفارسية، ومعناه: ثلاثون، و (بوي) أو (بويه)؛ أي: الرائحة. ومعناها: الثلاثون رائحة؛ أي: ذو الثلاثين رائحة.

وهذا الزعم سليم من الناحية اللغوية الفارسية؛ ولكنه غير مطرد فيما نعهد من الأعلام القديمة المماثلة المختومة بـ (ويه). وقد نذهل حينما نرى أن سيبويه نفسه تكلم على (عمرويه)، وهي كلمة ممزوجة بين العربية والفارسية، صدرها عربي، وعجزها لاحقة فارسية. قال سيبويه في كتابه:

(وأما عمرويه؛ فإنه زعم أنه أعجمي، وأنه ضرب من الأسماء الأعجمية، وألزموا آخره شيئا لم يلزم الأعجمية، فكما تركوا صرف الأعجمية؛ جعلوا ذا بمنزلة الصوت؛ لأنهم رأوه قد جمع أمرين؛ فحطوه درجة عن إسماعيل وأشباهه، وجعلوه في النكرة بمنزلة (غاق) منونة مكسورة في كل موضع).

ومعنى هذا أن (ويه) لاحقة من اللواحق الأعجمية لها شبه باللفظ العربي (ويه) التي هي اسم فعل؛ فلذا عوملت معاملة أسماء الأصوات التي تنون عند التنكير، وتترك منه عند التعريف؛ كقولهم: غاق، وغاق.

فالعرب والعجم قديما قد ألحقوا هذه الزائدة بالأسماء للتمليح، أو للتشبيه، أو للنسب؛ فقالوا: (نفطويه) من النفط، وقالوا: (ماهويه)؛ أي: الشبيه بالقمر، وهو (ماه) بالفارسية؛ كما نجد في الأدب الفارسي القديم (برزويه) الطبيب الذي عقد له باب في كليلة ودمنة، وفي أسماء ملوك الفرس (شيرويه) ابن أبرويز، وفي أمراء الترك (خمارويه)، وفي أنساب العلماء (خالويه) و (مسكويه) و (راهويه)، و (راه) هو الطريق بالفارسية، قالوا: سمي بذلك؛ لأن أمه ولدته في الطريق؛ فكأن معناه (الطريقي).

وهذه الأعلام تنطق جميعا بفتح الواو، وسكون الياء. وقد عقد السيوطي في خاتمة «بغية الوعاة» فصلا لمن آخر اسمه (ويه). لكن جاء في «وفيات الأعيان» في خاتمة ترجمة سيبويه: (والعجم يقولون (سيبويه) بضم الباء الموحدة، وسكون الواو، وفتح الياء المثناة من تحتها؛ لأنهم يكرهون أن يقع في آخر الكلمة (ويه)؛ لأنها للندبة). وزعمه أن (ويه) تكون للندبة ليس معنى معجميا؛ وإنما هو استعمال عامي، والمعروف في (ويه) أنها كلمة إغراء واستحثاث؛ كما في اللسان والقاموس).

نتيجة البحث:

لاحظنا من خلال النموذج التطبيقي حول نظام الجملة بين العربية والفارسية:

1- الضبط والتشكيل أساس في نظام الجملة العربية. 2- الكتابة تكون طبق القواعد الكتابة العربية. 3- المقطع الطويل قليل في اللغة العربية، وتهرب منه اللغة بأسايب لغوية متنوعة. 4- لا بد من وجود حركة.... والبقية ستتضح من خلال متابعة التطبيق؛ فإليه!!

والفرق الجوهري بين نظام الجملة العربية والفارسية؛ في الفارسية فلا تطابق بين الصفة والموصوف، لا في الإفراد والجمع، ولا في التذكير والتأنيث، ولا في التعريف والتنكير. وهذا فرق جوهري بين اللغتين يظهر واضحا في ترجمة كل آيات القرآن الكريم بحيث يصبح من العبث إيراد نماذج لبيان ذلك الاختلاف.

أما تنازع البقاء بين العناصر اللغوية في الشعوب الفارسية الذي ينتهي باستيفاء طوره الاجتماعي إلى تغلب الأمثل، فسيكون على أشده بين العربية والفارسية؛ لأنهما اللغتان الحيتان للشعبين الكبيرين في الأمة، والأولى منهما لغة الدين يكفله منصب الخلافة. والثانية لغة الإسلامية، وليس للغات سائر الشعوب شركة في هذه المزايا. هنالك من المشابهة بين العربية والعبرانية في الإضافة ما يؤيد المشابهة الحاصلة من حرف التعريف ويدعمها فإن طريقة الإضافة في هاتين اللغتين أعني العربية والعبرانية واحدة. وكذلك هي في السريانية والحميرية (أو التي سموها السبئية) قريبة الشبه جدًّا إن لم تكن واحدةً.

ومما يزيد المشابهة بين العربية والفارسية طريق استعمال الفعل فإن الماضي والمضارع يوضع أحدهما موضع الآخر كثيرًا في كلتيهما، كما يظهر ذلك لمن تأمل وهو عارف باللغتين. ويقل اعتمادها على الصفة وإقامتها مقام الفعل كما هو الشائع أو الكثير في الفارسية. ومن التهجم أن أقول: إن الفارسية في هذا تشابه الحميرية نظرًا لقلة ما وقفت عليه من هذه اللغة ولكني أوجه أنظار الباحثين إلى هذا الأمر.

وهناك مشابهات أخرى بين العربية والفارسية في الضمائر وصياغة بعض الجملة مما لو جمعت كلها معًا لرجح بها جانب الكِّفة من الوجهة الصرفية كما رجح من الوجهة النحوية، أي أن العربية والفارسية صنوان من جذم واحد. إن كنت وصلت في طريقة بحثي هذا إلى الحقيقة أو ما يقاربها أو إلى ما يدل على الوجهة التي هي فيها فحسبي ذلك. وإلا فيكفيني أني نبهت إلى أهمية مقارنة البحث التاريخي بالبحث الصرفى، ولعل الحقيقة أقرب أن تكون في الجانب الذي يتفقان فيه أو على الأقل في الجانب الذي لا يعارض فيه أحدهما الآخر أو ينافيه.

وأعلم أن الترجمة النصية بين العربية والفارسية ليست مستحيلة إلى حد ما لعدم وجود ألفاظ تساوي الألفاظ العربية فمثلا اللغة الفارسية هي من أبلغ اللغات بعد العربية ومع هذا لا نجد لبعض الألفاظ في القرآن ما نترجم به بالفارسية فنأخذ بالأقرب وبما ما يدل على المقصود أو المعنى ....

وفي الحقيقة هذا الموضوع يحتاج إلى بحث عن حل له ونقاش لما له من أهمية ولما ترتب على عدم الإهتمام به من اختلافات بين علماء اللغويين، أقصد في بلاد العجم على حد علمي فمثلا أحدهم ترجم كلمة يقصد بها معنى معين لكن نفس الكلمة تحتمل معنى آخر فيأتي آخر من طلبة العلم ويفهمها بالمعنى الثاني فيرد على هذا المترجم وربما المعنى الآخر يخالف مقصد القرآن وهكذا حصلت إختلافات شنيعة إلى حد أن البعض منهم كفر الآخر مما جعل الشعوب تحتار أمام كثرة الآراء والتعابير على مقصود واحد،

من الصعب تعيين اللغات الدخيلة عَلَى لغات فارس الوطنية قبل الفتح العربي فللغة البهلوية تكتب بخط الآرامية وأكثر ألفاظها آرامية ولكن أي تأثير كان في اللغة من هذه الألفاظ السامية المشتركة؟ والواقع أن هذه الألفاظ الدخيلة لم تكن أسماء مجردة بل أسماء كثيرة الاستعمال وضعت لما يقابلها من الألفاظ الفارسية التي كانت ولا تزال موجودة وهذا يقرب من لحقيقة من يدعون أن البهلوية لا تختلف إلا في الخط.

وقد تبدل كل شيء في الفتح الإسلامي فدخلت عَلَى اللغة الفارسية ألفاظ سامية جديدة ومنها العربي التي هي تعابير دينية وألفاظ مجردة وأخذوا يكتبونها بألف باء العرب وهذا هو أصل الفارسي الحديث. ولكن هذا التحول طال أمره حتى أن الفردوسي كتب في القرن العاشر كتابه الشاهنامة وهي قصة أبطال فارس بدون أن يستعمل الألفاظ العربية وهذا يدل عَلَى مقدرة يصعب تقليدها اليوم وإن كان بعض العلماء يقدرون عَلَى كتابة مكاتيب مطولة ومقالات جرائد مقتصرين فقط عَلَى الألفاظ الفارسية ولكن من إدغام اللغة الفارسية بالألفاظ العربية نشأت اللهجة الفارسية الحالية.

فهرس المصادر والمراجع:

1- احمد عدي، جلال إبراهيم. (د.ت). **نظام الجملة في سور "ربع يس"** ، بالإشراف استاذ الدكتور محمود مغالسة، جامعة المدنية المنورة.
2- أنيس، إبراهيم. (د.ت). **من أسرار اللغة**، بيروت: دار الكتب العربية.
3- خليل، الدكتور أبو عوده. (1988م). **بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف في الصحيحين**، رسالة جامعية (دكتوراه) باشراف دكتورة نهاد الموسى، الأردنية: الجامعة الأردنية.
4- السامرائي، فاضل صالح. (2017م). **الجملة العربية تأليفها وأقسامها**، بيروت: دار ابن كثير.
5- غفوري، شريف الله. (2020م). **مقالة"بحث مؤجز عن تاريخ اللغة الفارسية في أفغانستان"**، المجلةالعربية الدولية للبحوث الخلّاقة-كابل، المجلد1، العدد1.
6- محمود المتولي، للدكتور المتولي. (2002م). **بناء الجملة الخبرية في شعر إبي تمام**، رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة المنصورة-مصر.
7- .....(د.ت). **نظام الجملة في شعر الحماسة من حماسة ابي تمام** - الرسالة العلمية.
8- نحلة، محمود. (د.ت).**نظام الجملة العربية**، دمشق: دارالكتب العلمية.
9- .....(د.ت). **بناء الجملة بين العربية والعبرية**.(دراسات سامية مقارنة).